

الدرس 8: تونس أثناء الحرب العالمية الثانية (1939–1945)

تمهيد إشكالي

اندلعت الحرب العالمية الثانية بينما كانت تونس خاضعة للحماية الفرنسية، فوجدت نفسها في قلب صراع دولي لم تختره: أثقلت الحرب كاهل السكان، وحوّلت البلاد إلى ساحة قتال، لكنها كشفت أيضاً تناقضات الاستعمار وأتاحت للحركة الوطنية استعادة المبادرة. فكيف أثّرت الحرب في المجتمع والاقتصاد؟ وكيف انعكست التحولات العسكرية والسياسية على مسار النضال الوطني التونسي؟

1. من حرب أوروبية إلى ساحة قتال في تونس

عند اندلاع الحرب سنة 1939 كانت تونس محمية فرنسية، ولذلك ارتبط مصيرها بفرنسا وبالحرب التي خاضتها ضد ألمانيا. وبعد هزيمة فرنسا سنة 1940 وتقسيمها، خضعت الإدارة الفرنسية في تونس لظروف نظام فيشي، فيما دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا. هكذا ازدادت الضغوط على التونسيين: فإدارة الحماية سخّرت الموارد لخدمة المجهود الحربي، وضُيّقت الحريات، وتعرّض النشاط السياسي والصحفي للمراقبة والمنع. لم تكن البلاد طرفاً مستقلاً في تقرير الحرب، بل دفع مجتمعها ثمن صراع القوى الاستعمارية والمحورية.

تغيّر الوضع العسكري في خريف 1942. ففي 8 نوفمبر نزلت قوات الحلفاء في شمال إفريقيا، فردّت قوات المحور بالتقدم إلى تونس واتخاذها موقعاً عسكرياً. بدأت بذلك **حملة تونس**، واستمر القتال إلى ربيع 1943. لم تكن البلاد مجرد ممر للجيوش: فقد شهدت معارك وقصفاً واحتلالاً متعاقباً لمناطقها، وعانى السكان من الخوف والنزوح وتعطل النشاط اليومي. وانتهت الحملة بانتصار الحلفاء واستسلام قوات المحور في تونس في ماي 1943، بعد أن خلّفت أضراراً واسعة.

2. أعباء الحرب: أزمة معيشية ودمار مادي

تفاعلت الحرب مع هشاشة الاقتصاد التونسي المعتمد على الفلاحة والتصدير والأسواق الخارجية. أدى اضطراب النقل والتجارة وتوجيه الإنتاج إلى حاجات الجيوش إلى نقص بعض المواد وارتفاع الأسعار. وتكشف مقارنة السعر القانوني بسعر السوق السوداء اتساع الفجوة بين السعر المعلن وما اضطر الناس إلى دفعه، ولا سيما في المواد الأساسية. وكانت هذه السوق علامة على اختلال التوزيع والندرة، لا مجرد مخالفة فردية. كما تضرر الفلاحون والعمال وصغار التجار، واتسعت البطالة وتراجعت القدرة الشرائية، فاشتد التفاوت الاجتماعي.

كانت الخسائر المادية كبيرة: أحصى الكتاب تضرر أو تدمير نحو 1300 كلم من الطرق و120 جسراً، و16800 مبنى سكني و500 مبنى إداري، فضلاً عن تضرر 80% من منشآت الموانئ التابعة لصفاقس وسوسة. كما أصاب الدمار شبكات الكهرباء والهاتف وتجهيزات السكك الحديدية والشاحنات. وتبيّن أرقام الإنتاج الفلاحي، ومنها الحبوب، أن الحرب أحدثت هبوطاً حاداً ثم تذبذباً في الإنتاج؛ أي إن الأزمة لم تكن ارتفاع أسعار فحسب، بل تعطلاً في وسائل الإنتاج والنقل والتزويد.

> **نقطة تركيز:** اربط بين السبب والنتيجة: الحرب عطّلت النقل والتجارة ووجّهت الموارد إلى الجبهة؛ فقلّ العرض وارتفعت الأسعار، ثم ازداد الفقر والاحتقان. واستشهد بالأرقام المادية من الكتاب حين يطلب السؤال قياس حجم الدمار.

3. تحولات السياسة الوطنية: من الانقسام إلى التكتل

لم تتوقف الحركة الوطنية عن العمل، لكنها واجهت مراقبة الاستعمار وقمعه وتباين مواقف القوى الوطنية. في هذا السياق اعتلى **محمد المنصف باي (المنصف باي)** العرش في **19 جوان 1942**. ارتبط عهده بمحاولة توسيع حضور التونسيين في الإدارة وبمطالب إصلاحية، وأظهر تقاطعاً بين مطالب وطنية وبين قطاعات من النخبة. وتضمنت الإصلاحات المقترحة مشاركة التونسيين في تسيير شؤون البلاد، وتحسين تمثيلهم، وصون بعض الحريات؛ لكنها بقيت مطالب داخل نظام الحماية، لا استقلالاً منجزاً.

أوجدت ظروف الحرب فرصة لتقارب تيارات سياسية واجتماعية مختلفة. أخذت الحركة الوطنية تستعيد نشاطها بعد فترة من التضييق، وتنامت الدعوة إلى تنسيق الجهود بين الدستوريين القدامى والجدد وممثلين عن النخب. وفي 1944–1945 تبلور مسعى تشكيل **الجبهة الوطنية التونسية**، بمشاركة شخصيات من اتجاهات وطنية، ومن أبرز الأسماء الواردة في سياق الدرس **صالح بن يوسف** و**الطاهر بن عمار**. كان التكتل استجابة عملية لدرس الحرب: مقاومة الاستعمار تتطلب قاعدة أوسع من حزب واحد، وبرنامجاً وطنياً يقدّم المطالب المشتركة.

لكن نهاية المعارك لم تُنهِ التناقض الاستعماري. بعد انتصار الحلفاء سنة 1943 أُبعد المنصف باي عن العرش بقرار سلطات الحماية، فانكشف حدّ الإصلاح داخل نظام لا يقبل تقاسم السيادة. وعادت المطالب الوطنية إلى الواجهة بقوة؛ وتُبرز مظاهرة **8 ماي 1945** اتساع الحضور الشعبي وارتباطه بالمطالب الوطنية، مع استمرار الرقابة والقمع. بذلك انتقلت الحركة من استثمار الظرف الحربي والتقارب حول الإصلاح إلى تعميق المطالبة بالحقوق الوطنية، وهو تمهيد لمسار التحرر اللاحق.

4. الحصيلة التاريخية

كان للحرب وجهان متلازمان: استنزاف اجتماعي واقتصادي وعسكري خلّف خراباً وندرة وغلاءً، وتحول سياسي ساعد على تجدد العمل الوطني واتساع قاعدته. لم تمنح الحرب تونس استقلالها، لكنها أضعفت صورة الاستعمار بوصفه قوة لا تُقهر، وأظهرت أن تحرير البلاد يحتاج إلى وحدة وطنية ومواصلة التنظيم. لذلك لا يُفهم أثر الحرب من المعارك وحدها؛ بل من صلتها بمعيش الناس، وبالتحولات في موازين القوى، وبقدرة الحركة الوطنية على تحويل الأزمة إلى فرصة سياسية.

تمرين 1: موضوع مقالي

الموضوع: «لم تكن الحرب العالمية الثانية على تونس مجرد مواجهة عسكرية؛ فقد جمعت بين أزمة المجتمع وتحوّل النضال الوطني». حلّل هذه الأطروحة مبرزاً مراحل الحرب وآثارها.

إصلاح نموذجي ومنهجية

المقدمة: حدّد الإطار الزمني 1939–1945، ووضع تونس تحت الحماية، ثم صغ الإشكالية: كيف جمعت الحرب بين الاستنزاف والتحول الوطني؟

الجوهر: 1. **السياق العسكري والسياسي:** ارتباط تونس بفرنسا سنة 1939؛ أثر هزيمة فرنسا ونظام فيشي سنة 1940؛ نزول الحلفاء بشمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942، دخول قوات المحور تونس، ثم انتهاء الحملة بانتصار الحلفاء في ماي 1943. 2. **أزمة المجتمع:** نقص المواد وغلاؤها والسوق السوداء، تراجع الإنتاج واضطراب النقل، ثم الخسائر الموثقة في المباني والطرق والجسور والموانئ. وضّح أن هذه النتائج متصلة بحاجات الحرب وتعطل الاقتصاد، لا تسردها منفصلة. 3. **المسار الوطني:** اعتلاء المنصف باي العرش في 19 جوان 1942 والمطالب الإصلاحية؛ استعادة النشاط والتقارب الوطني؛ إبعاده بعد الحرب؛ ثم مظاهرة 8 ماي 1945. استنتج أن الإقصاء بيّن حدود الإصلاح تحت الحماية، وأن اتساع التكتل دعم المطالبة الوطنية.

الخاتمة: أجب مباشرة: أرهقت الحرب المجتمع ودمّرت موارده، لكنها سرّعت الوعي الوطني وأعادت تنظيم النضال دون أن تحقق الاستقلال. **الاستدلال:** استعمل التاريخ مع الحدث، والرقم مع دلالته، وعبارات سببية مثل «نتيجة لذلك» و«مما أتاح»، وتجنب الخلط بين التحرير العسكري والاستقلال السياسي.

تمرين 2: تحليل وثيقة مركّبة

النص الآتي صياغة تعليمية أصلية لأغراض التدريب، وليس اقتباساً تاريخياً:

«أدخلت المعارك التي دارت في تونس خلال 1942–1943 البلاد في دوامة من الاضطراب؛ فتعطلت طرق ومرافق، واشتد نقص بعض المواد وارتفعت كلفتها. وفي الوقت نفسه أعادت شخصيات وطنية طرح مشاركة التونسيين في تسيير شؤونهم، وظهر أن توحيد القوى حول مطالب مشتركة أنجع من تشتتها. غير أن نهاية القتال لم تُنهِ نظام الحماية ولا القيود المفروضة على الحياة السياسية».

الأسئلة: 1. عرّف الإطار الزمني والعسكري الذي تشير إليه الوثيقة، وبيّن المقصود بحملة تونس. 2. استخرج أثرين اقتصاديين أو اجتماعيين، ثم فسّر العلاقة بينهما وبين القتال. 3. ما التحول السياسي الذي تبرزه الوثيقة؟ اربطه بالمنصف باي وبمحاولة التكتل الوطني. 4. ناقش حدود ما حققته الحرب للحركة الوطنية، مستنداً إلى الدرس.

إصلاح نموذجي مفصل

1. **الإطار:** الحرب العالمية الثانية، وبخاصة حملة تونس بين نوفمبر 1942 وماي 1943. نزل الحلفاء بشمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942، ثم دخلت قوات المحور تونس، فأصبحت البلاد ميدان قتال إلى انتصار الحلفاء.
2. **الأثران والتفسير:** تعطّل الطرق والمرافق يعرقل نقل المحاصيل والسلع؛ ونقص المواد مع اضطراب التزويد يرفع الأسعار ويدفع إلى السوق السوداء. أفضت هذه السلسلة إلى تراجع القدرة الشرائية وتفاقم معاناة السكان. تُدعّم الإجابة بما أورده الكتاب من تضرر 1300 كلم من الطرق و120 جسراً ومنشآت سكنية وميناائية.
3. **التحول:** تصاعد مطلب مشاركة التونسيين في إدارة شؤونهم. وارتبط ذلك باعتلاء المنصف باي العرش في 19 جوان 1942 وطرح الإصلاحات. ثم اتجهت القوى الوطنية في 1944–1945 إلى تنسيق أوسع، ومنه الجبهة الوطنية التونسية؛ أي إن ضغط الحرب عزز الحاجة إلى العمل المشترك.
4. **المناقشة:** أضعفت الحرب الاستعمار مادياً وسياسياً ووسّعت فرص التنظيم، لكنها لم تُنه الحماية. إبعاد المنصف باي بعد انتصار الحلفاء يبرهن أن الإصلاح ظل محدوداً، فيما أبرزت مظاهرة 8 ماي 1945 استمرار المطالب الشعبية. **طريقة الاستدلال:** لا تكتفِ بنقل ألفاظ الوثيقة؛ اشرح دلالتها واربطها بمعطيات الدرس، وميّز بين ما تقوله الوثيقة وما تضيفه المعرفة التاريخية.

نصائح امتحانية عملية

- ابدأ بإطار زماني ومكاني واضح، ثم حوّل صيغة السؤال إلى إشكالية محددة.
- نظّم المقال زمنياً: 1939–1940، ثم 1942–1943، ثم 1944–1945؛ واجعل لكل مرحلة فكرة وقرينة.
- في تحليل الوثائق، قدّم نوع النص ومضمونه وسياقه، ثم استخرج المعطى وفسّره؛ لا تنسب للنص ما لا يقوله.
- لا تساوِ بين انتصار الحلفاء واستقلال تونس. ميّز بين نهاية المعارك واستمرار الحماية.
- استخدم الأرقام انتقائياً، وأتبع كل رقم بدلالته على حجم الأزمة.

كلمات مفتاحية

- **الحماية الفرنسية:** نظام هيمنة فرضته فرنسا على تونس، مع بقاء مظاهر حكم محلية دون سيادة وطنية كاملة.
- **قوات المحور:** القوى التي ضمت ألمانيا وإيطاليا خلال الحرب؛ دخلت تونس في سياق حملة 1942–1943.

- **الحلفاء:** القوى التي قاتلت المحور؛ نزلت قواتها في شمال إفريقيا في نوفمبر 1942 وانتزعت تونس منه في ماي 1943.
- **حملة تونس:** العمليات العسكرية التي جعلت تونس ميداناً للمواجهة بين الحلفاء والمحور من أواخر 1942 إلى ماي 1943.
- **السوق السوداء:** تداول السلع خارج قنوات التسعير والتوزيع القانونية، ويكشف اتساعها عن الندرة واختلال التزويد.
- **المنصف باي:** محمد المنصف، تولى العرش في 19 جوان 1942، وارتبط عهده بمطالب إصلاح ومشاركة تونسية في الحكم.
- **الجبهة الوطنية التونسية:** مسعى إلى تنسيق القوى والشخصيات الوطنية في 1944–1945 حول مطالب مشتركة.

ملخص مراجعة سريع

1939: تونس تحت الحماية ترتبط بالحرب عبر فرنسا. 1940: هزيمة فرنسا وتبدل وضع الإدارة في ظل فيشي. 8 نوفمبر 1942: نزول الحلفاء بشمال إفريقيا ودخول قوات المحور تونس؛ تبدأ حملة تونس. 19 جوان 1942: اعتلاء المنصف باي العرش وطرح مطالب إصلاحية. ماي 1943: انتصار الحلفاء ونهاية المعارك، مع بقاء الحماية وإبعاد المنصف باي. 1944–1945: تقارب وتكتل وطني. 8 ماي 1945: مظاهرة تؤكد استمرار المطالب. **الخلاصة:** حربٌ استنزفت المجتمع ودمّرت البنية الأساسية، لكنها ساعدت على تجدد العمل الوطني واتساعه دون أن تحقق الاستقلال.

المصدر

كتاب التاريخ للسنة الرابعة ثانوي، شعبة الآداب والاقتصاد والتصرف، **الدرس 8: «تونس أثناء الحرب العالمية الثانية»**، الصفحات المطبوعة **138–147** (المدخل والتخطيط، المعطيات والأنشطة، الخلاصة).



مشهد تاريخي مُعاد تمثيله بصرياً لأغراض تعليمية، وليس تسجيلاً فوتوغرافياً أصلياً.



إعادة تمثيل تاريخية تعليمية مولّدة للسياق، وليست صورة أرشيفية.